**- المحاضرة رقم (7)**

**الحداثة الشعرية في الجزائر**

ابتكر الشعر الجزائري المعاصر حداثته، وأسلوبه، وقضاياه المشتغل عليها، إلى جوار التقائه في ذلك مع كثير من آليات وعناصر وتقنيات الحداثة التي اشتغل عليها الشعر العربي بشكل عام، ومنها: تقنيات الرمز، والقناع، وتداخل الأجناس، وقصيدة الومضة، والإيغال في الانزياحات التركيبية، والاعتناء بالعنونة، وتوظيف التراث بمفهومه الواسع، كل ذلك بنسب متفاوتة من شاعر إلى آخر، ترجع إلى وعي كل شاعر بتجربته وأدواته، وخلفياته الفكرية التي تؤهله إلى بلوغ مستوى معين من الحداثة، نتابعها وفق المنظورين الآتيين:

1- المنظور النقدي

يرى (لوناس شعباني) أن الحداثة الجزائرية انطلقت عقب أحداث (1945)؛ فهي وعي سياسي- جمعي، انحرف بالحركة الوطنية الجزائرية، مع ازدياد الوعي الثوري، نحو الالتفاف أكثر حول القضايا الوطنية؛ من ذلك قضية الاستقلال، وكان الشعر خير مبشر بها؛ لأن الشعر عاش الثورة مخاضا، غير أن الانطلاقة الحقيقية لثورة الشعر، أي حداثة الشعر، تمت عقب قيام الثورة التحريرية، معلنة ميلاد الإنسان الجزائري الحديث.([[1]](#footnote-1))

أما (سعد الله)، فيرى أن الحداثة في الشعر الجزائري بدأت مع بداية أول حركة إصلاحية في الجزائر سنة (1925)، ذلك أن الأثر الذي تركته هذه الحركة في النهضة القومية كان من الأصالة والعمق بحيث وضع أول خطوة في طريق الشعور بالذات، وقد مسّ نواحي الحياة كلها، بدأت هذه الحركة اجتماعية دينية وانتهت سياسية وطنية، وجمعت حولها نخبة من ذوي الثقافة من جميع جهات القطر الجزائري، أفضت إلى تطور الشعر الجزائري تطورا ملموسا، تجلى في ظهور شعر جديد: الشعر الوطني والإصلاحي والاجتماعي والسياسي، وقد برز للوجود ما يمكن اعتباره أول ديوان يضم “شعراء الجزائر في العصر الحاضر“، وهو بحق أول خطوة يدخل بها الشعر الجزائري دور الحداثة، قد قدم اثنين وعشرين شاعرا يختلف شعرهم عما ألفه سابقا.([[2]](#footnote-2))

فيما يرجعها (محمد ناصر) إلى سنة (1928)، وتحديدا مع نص (رمضان حمود) “أنت يا قلبي“، الذي جاء نتيجة سلسلة مقالات نقدية واعية خصت الشعر العربي، أعلن فيها أن الوزن والقافية ليسا ضرورتين من ضرورات الشعر، بل المقياس الحقيقي للشعر؛ هو الصدق الفني.([[3]](#footnote-3))

بينما الحداثة عند (خرفي) و(الركيبي) تعني تطورا في الشكل والمضمون، بدأ مع الاحتلال الفرنسي، وتحديدا في ثلاثينيات وأربعينيات القرن (19)، مما جعل (الأمير عبد القادر)، في نظر الباحثين، وانطلاقا من هذا المفهوم الحداثي، من أوائل الشعراء الحداثيين في الجزائر([[4]](#footnote-4)).

فيما يرى (محمد مصايف) أن الحداثة لا تنحصر فقط في الشكل والمضمون، بل تمتد إلى الموقف والنظرة، مقررا أن الحداثة الشعرية لم تظهر تباشيرها الأولى إلا في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ولم تتضح معالمها إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا للظروف التي برزت بين الحربين وفي أعقابهما، ومنها يقظة الشعب الجزائري كأثر أول للحرب، واسترجاع كثير من الشعوب المستعمرة لاستقلالها، وبروز الحركة الإصلاحية والحركة الوطنية؛ حيث لعبت جرائد مثل (المنار) و(البصائر)، خاصة الثانية، وتحديدا منذ سلسلتها الثانية الصادرة سنة (1947)، دورا رياديا لا في الدفاع عن عروبة الجزائر وإسلامها وحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال فحسب، بل وفي تطوير الشعر الجزائري الحديث، نظرا لحرصها على نشر نصوص شعرية تتميز بأسلوب عصري يعتني بالفكرة قبل العبارة، ويورد الموقف جليا في غير مبالاة بما قد يقال حول هذا الأسلوب وهذا الموقف([[5]](#footnote-5)).

2- المنظور الشعري

اشتغل عز الدين ميهوبي في حداثته الشعرية من خلال: تفتيت اللغة من خلال توزيع أسلوبه الشعري بين اللغتين: الرسمية والشعبية، التناص بمظاهره: الديني، الشعري، والتراثي، الرمز الديني، والصوفي، الأسطورة، والانزياح، فضلا عن الصورة الشعرية؛ وهي أنماط، منها التي أساسها التشبيه، أو التشخيص، أو التجريد، فضلا عن أشكال التوقيع النصي، من ذلك الومضة الشعرية التي تقوم على التكثيف الدلالي والفني([[6]](#footnote-6))، فيظهر موقفه الأيديولوجي بكل وضوح، كما في نصه “اللعنة والغفران“:

ربما أخطأني الموت سنة

ربما أجلني الموت لشهر، أو ليوم..

كل رؤيا ممكنة..

ربما تطلع من نبض حروفي.. سوسنة

أنا لا أملك شيئا غيركم..

وبقايا أحرف تورق في صمت دم المر حكايا

محزنة([[7]](#footnote-7))

بينما تتجلى الحداثة الشعرية عند سليمان جوادي في بساطتها وحدتها وخفتها التي تتأتى من لهجتها الصادقة، وفي تصويرها المعبر عن واقعه الاجتماعي والسياسي، بأسلوب يجمع بين السخرية والتهكم، وبين الشعرية والنثرية([[8]](#footnote-8)) تعميقا لمعاني الحزن، والألم، والاغتراب، كما يشيع في شعره ازدواجية ملحوظة، ترجع إلى طابع الغموض بسبب استخدامه الرمزي: الديني، الشعري، التاريخي، والتراثي، وطابع الوضوح نتيجة لجوئه إلى استخدام العامية ذات الأصل العربي: جزائري أو مشرقي، أو الأصل الغربي: الفرنسي خاصة، وتحويرها حتى تستجيب للذوق الشعري العام، مثل: تتكوفر: Elle se coiffe([[9]](#footnote-9))، واللغة الجنسية ذات الطابع الاختلافي طالما تخفي المقموع السياسي، والاضطهاد الفكري، فيبدو الفضاء الشعري عالما واقعيا([[10]](#footnote-10))، مما يسمح ببروز موقفه السوسيو- سياسي، كما في نصه “أتفرج وأصفق بحرارة“:

كان وجهي يومها

إشراقة ثورية

علقتها دون دراية

في محطات البداية

ومحطات النهاية

كنت مشغولا بذاتي وهمومي التافهة

كان وجهي- دون علمي-

لبلادي واجهة([[11]](#footnote-11))

أما الحداثة الشعرية عند عثمان لوصيف، فقد وردت في لغته النامية المتجاوزة للنمط التعبيري التقليدي، إلى آخر اختلافي يتحقق في الرؤى، والمفاهيم، والتصورات شكلا، ومضمونا، يتجلى ذلك في الانزياح([[12]](#footnote-12))، والإيقاع المتحول تبعا لدرجات توتر التجربة ذاتها، والرمز بتنوعاته: الطبيعي، التاريخي، الرحلي، الصوفي، والأسطوري، وبنيته ذات الشكل المغلق المفتوح، تعبيرا من الشاعر بلا نهائية التجربة([[13]](#footnote-13))، وصوره الشعرية بأنماطها: المتحركة، الثابتة، الحسية، الرمزية، السردية، والدرامية؛ الموغلة في الكشف والتجاوز، بحثا عن واقعه الخاص الذي يقوم برؤياه الفنية- الجمالية الخاصة([[14]](#footnote-14))، واشتغاله المحموم بالتجريب الشعري، بحثا عن نظام جديد في الكتابة بوصفه انبثاقا لا تراكما([[15]](#footnote-15)).

قال عثمان لوصيف من نص عنوانه “أنا وحبيبتي“:

أعانقها

فتشتبك الغصون

وألثمها

فينمو الياسمين

وترقبها النجوم

إذا مشينا

فتأخذها الغواية

والجنون([[16]](#footnote-16))

هذا، وقد أسهمت مرحلة التسعينيات في انتشار نص شعري، منفتح على الحداثة الشعرية العربية، نص ينظر في كيفية إحداث توازن بين التراث والحداثة، لا يدعو إلى القطيعة والانفصال مع أحد الطرفين، ولا إلى التقليد والتماثل مع أحدهما أيضا، وإنما إبداع حداثة منتمية برؤيتها الفكرية والجمالية، من خلال استعادتها للمأثور الشعري الحافل بالإعجاز والبلاغة، ومن خلال انفتاحها المشروط والواعي لبعث أنفاس الجدة والتجديد من الحداثة والواقع العربي والجزائري.

1. )- لوناس شعباني، ***تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980***، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، (د.ط)، 1980م، ص79. [↑](#footnote-ref-1)
2. )- أبو القاسم سعد الله، ***دراسات في الأدب الجزائري الحديث***، دار الآداب، بيروت- لبنان، ط1، 1966م، ص28. [↑](#footnote-ref-2)
3. )- محمد ناصر، ***الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925- 1975)***، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط3، 2006، ص150. [↑](#footnote-ref-3)
4. )- محمد مصايف، ***تطور النثر الجزائري الحديث***، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1983م، ص113. [↑](#footnote-ref-4)
5. )- ***م.ن***، ص115. [↑](#footnote-ref-5)
6. )- خليل الموسى، ***آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر***، (سلسلة آفاق ثقافية)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، دمشق- سوريا، عدد 89، أيلول 2010م، ص63. [↑](#footnote-ref-6)
7. )- عز الدين ميهوبي، ***اللعنة والغفران***، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 1997م، ص25. [↑](#footnote-ref-7)
8. )- حسن فتح الباب، ***شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق***، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1987م، ص139. [↑](#footnote-ref-8)
9. )- محمد ناصر، ***الشعر الجزائري الحديث***، ص375. [↑](#footnote-ref-9)
10. )- يمنى العيد، ***في معرفة النص الأدبي***، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ط3، شباط 1985م، ص184. [↑](#footnote-ref-10)
11. )- حسن فتح الباب، ***شعر الشباب في الجزائر***، ص137- 138. [↑](#footnote-ref-11)
12. )- يحدد جون كوهين عملية الانزياح في الآتي:

    - اختلال الترابط المنطقي والعقلاني

    - إسناد صفات غير معهودة إلى الأشياء.

    - الخروج عن المعيار المتفق عليه.

    يُنظر: جون كوهين، ***بنية اللغة الشعرية***، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العمري، دار توبقال، المغرب، (د.ط)،1986م، ص7. [↑](#footnote-ref-12)
13. )- عز الدين إسماعيل، ***الشعر العربي المعاصر***، ص259. [↑](#footnote-ref-13)
14. )- بشير تاوريريت، ***إستراتيجية الشعرية والرؤيا الشعرية عند أدونيس***، دار الفجر للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ط1، 2006م، ص181- 182. [↑](#footnote-ref-14)
15. )- أدونيس، ***زمن الشعر***، ص289. [↑](#footnote-ref-15)
16. )- عثمان لوصيف، ***شبق الياسمين***، دار البعث، قسنطينة- الجزائر، ط1، 1986م، ص59. [↑](#footnote-ref-16)